

الدرس الثاني من شرح : فضائل القرآن



للشيخ : محمد بن عبد الوهاب رحمه الله
شرح الشيخ : عبد الرزاق البدر

"وللبخاري عن عثمان (رضي الله عنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ... أما بعد

أورد الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هذا الحديث حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه في ذكر فضل تعلم القرآن وتعليمه ، وأن في هذا التعلم والتعليم الخيرية والتقدم والرفعة ونيل الأجر العظيمة والثواب الجزيل . كما يستفاد كل ذلك من قول نبينا عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث (**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**) فالحديث دليل على فضل تعلم القرآن وتعليم القرآن . تعلم القرآن بأن يتلقاه المتعلم من غيره ، وتعليمه للقرآن بأن يعلمه لغيره . فيكون أخذًا لهذا القرآن بطريق التعلم عن غيره ، ومبلغًا هذا القرآن لغيره بطريق التعليم ، فيجمع بين الخيرين أن يتعلم هو في نفسه وأن يعلم الآخرين . فيكون بذلك عالما متعلما .

والتعلم للقرآن والتعليم المشار إليه في هذا الحديث يتناول كما بين أهل العلم رحمهم الله تعالى : يتناول تعليم الألفاظ وتعليم المعاني ، خلاف ما يفهمه بعض الناس من هذا الحديث من أن المراد به تعليم ألفاظ القرآن من حيث إتقان التلاوة وإتقان الحفظ لسور القرآن وآياته . ولا شك أن هذا من التعليم لكن تعليم القرآن وتعلم القرآن يتناول نوعي التعلم ، تعلم الألفاظ وتعلم المعاني . فقوله عليه الصلاة والسلام (**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**) يشمل تعلم الألفاظ بأن يحفظ ويتقن القراءة ويحسن التلاوة لكلام الله تبارك وتعالى وفي الوقت نفسه أيضا يتعلم المعاني ، وحفظ الألفاظ وسيلة وفهم المعاني غاية . وقد قال الحسن البصري رحمه الله تعالى : (أنزل القرآن ليعمل به فاتخذ الناس قراءته عملا) أي أن من الناس من اشتغل بالقراءة عن المقصد الذي أنزل لأجله القرآن وهو العمل ، بالقرآن الكريم

قد قال تعالى : (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليذكر أولوا الألباب) فأنزل ليدبر لا لمجرد قراءة حروف وألفاظ القرآن ، بل ليدبر آيات القرآن ويتأمل في معانيه ودلالاته وتتعلم العقائد الدينية من القرآن الكريم أيضا تتعلم الأحكام والأوامر والشرائع والنواهي من القرآن الكريم إذا مر بأية فيها أمر ففهمه وعرف مراد الله سبحانه وتعالى بهذا الأمر وجاهد نفسه على العمل به ، وإذا مر بنهي ففهمه وعرف وأدرك خطورته وجاهد نفسه على البعد عنه فالقرآن أنزل ليعمل به فتعلم القرآن يتناول تعلم الألفاظ إحسانا في التلاوة والقراءة والترتيل ويتناول أيضا تعلم المعاني بحيث يفهم . معاني كلام الله سبحانه وتعالى

ولهذا اختلفت طريقة السلف من الصحابة ومن تبعهم بإحسان عن طريقة المتأخرين ، فكانت تطول مدتهم رضي الله عنهم في حفظ القرآن أو في حفظ سور من القرآن ، وذلك لأن حفظ القرآن يصحب كل آية يحفظونها فهما للمعاني وإدراكا للدلالات فجمعوا بين العلم والعمل فكانوا يفهمون المعاني ويحققون ويطبّقون ويمتثلون ما جاء في كتاب الله تبارك وتعالى ، وكان من طريقتهم كما روى ذلك عبد الرحمن السلمي وهو الراوي لهذا الحديث عن عثمان بن عفان يقول رحمه الله في بيان ما سمعه من عثمان وغيره من الصحابة في الطريقة التي كانوا عليها في حفظ القرآن قال : (كانوا لا يتجاوزون العشر آيات حتى يعلموا معانيهن ويعلموا بهن فجمعوا بين العلم والعمل) . أما طريقة كثير من المتأخرين يحفظ الآيات والسور ولا يقف عند المعاني ولا يقف عند الدلالات ولهذا وجد تناقض في الناحية العملية بين حياته العملية وبين ما يحفظ من كلام الله فيقع في أعمال منكورات وفي مخالافات مع ترك لواجبات ، مع أن في صدره القرآن أو جزء كبير من القرآن الكريم وتجده يخالف القرآن ولا ياتمر بأوامر القرآن ولا ينتهي عن نواهي القرآن ، يحفظ مثلا قول الله تبارك وتعالى : (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما

فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من رحمته وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً (يحفظها بإتقان لكنه عاق لوالديه وسيء المعاملة مع والديه ولا يتردد في أن يقول لوالديه أف مرات كثيرة ، وهو عند الشيخ الذي يقرأه يأخذ الدرجة كاملة لكن في الواقع ليس هو من أهل هذه الآية ، وإذا كانت هذه طريقته مع كتاب الله تبارك وتعالى فهو في الواقع لا يكون بذلك من أهل القرآن لأن أهل القرآن هم أهله علماً بمعانيه وعملاً بما يقتضيه . وهذا هو الذي بيّنه أهل العلم رحمهم الله في شرح هذا الحديث العظيم . يقول شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى في شرح هذا الحديث العظيم ولنتأمل أيها الإخوة الكرام كلامه فإنه عظيم ومتين ومهم ونحتاج فعلاً إلى فهمه ، يقول رحمه الله : (فإن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقوا عنه ما أمره الله تبارك وتعالى بتبليغه إليهم من القرآن تلقوا عنه لفظه ومعناه جميعاً - أي حفظوا الألفاظ وفهموا المعاني - ، كما قال أبو عبد الرحمن السلمي وهو الذي روى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) كما رواه البخاري في صحيحه ، وكان يقرئ القرآن أربعين سنة ولما سئل في ذلك قال : هذا الحديث هو الذي أجلسني هذا المجلس . قال أبو عبد الرحمن السلمي : (حدثنا الذين كانوا يُقرؤوننا عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً) . ولهذا دخل في معنى قوله صلى الله عليه وسلم خيركم من تعلم القرآن وعلمه تعليم حروفه ومعانيه جميعاً ، بل تعلم معانيه هو المقصود الأول بتعلم حروفه ، وذلك هو الذي يزيد الإيمان - يعني أن تفهم معاني القرآن وتندبر في دلالاته فيؤثر فيك القرآن فتزداد إيماناً بخلاف من يقرأه دون أن يتدبر أو يتأمل في المعاني والدلالات - قال : وذلك هو الذي يزيد الإيمان كما قال جندب بن عبد الله وعبد الله بن عمر وغيرهما (تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فزدنا . إيماناً وإنكم تتعلمون القرآن ثم تتعلمون الإيمان) أي أن الناس عكسوا الطريق التي كان عليها أصحاب النبي في تعلم القرآن وفي المعنى ذاته يقول ابن القيم في كتابه مفتاح دار السعادة في شرحه لهذا الحديث حديث عثمان بن عفان قال : (وتعلم القرآن وتعليمه يتناول تعلم حروفه وتعليمها وتعلم معانيه وتعليمها وهو أشرف قسماً تعلمه وتعليمه ، فإن المعنى هو المقصود واللفظ وسيلة إليه ، فتعلم المعنى وتعليمه تعلم الغاية وتعليمها ، وتعلم اللفظ المجرد وتعليمه تعلم الوسائل وتعليمها وبينهما كما بين الغايات (والوسائل))

شاهد القول أن هذا الحديث عثمان بن عفان رضي الله عنه حديث عظيم في بيان فضل تعلم القرآن ، فشهد النبي صلى الله عليه وسلم بالخيرية لمن تعلم القرآن ، وهذا الفضل وهذه الخيرية شاملة لنوعي التعليم تعلم الألفاظ وتعلم المعاني

ولمسلم عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه اقرأوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران؛ إنهما تأتيتان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيبتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة

ثم أورد رحمه الله تعالى أورد هذا الحديث حديث أبي أمامة الباهلي هو مخرّج في صحيح مسلم عن نبيينا عليه الصلاة والسلام قال : (اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه) : حث على قراءة القرآن والعناية بتلاوة القرآن ومداومة التلاوة والقراءة . للقرآن الكريم والإكثار منها . (اقرأوا القرآن) أي جميعه وسيأتي تخصيص لبعض سورته

شفيحاً لأصحابه) : أي شافعاً ، يشفع لصاحبه في النجاة من عذاب الله وبالفرز بجنته وبرفعة الدرجات عند الله تبارك وتعالى . قد جاء في المسند وغيره عن نبيينا عليه الصلاة والسلام قال : (الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة) . وسيأتي معنا حديث النبي عليه الصلاة والسلام في أن القرآن يلقي صاحبه ويكون كالرجل الشاحب ويقول هل تعرفني ... والحديث بهذا سيأتي عند المصنف . رحمه الله تعالى

فإذا عناية العبد بالقرآن تلاوة وتدبراً وإكثاراً من تلاوة القرآن وانتماراً بأوامر القرآن وانتهاء عن نواهي القرآن الذي هو مقصود التلاوة والتدبر لكلام الله تبارك وتعالى يثمر هذا الفضل العظيم وهو أن القرآن يكون شفيحاً لأصحابه . وهنا ينبغي أن يعلم أن المراد بقوله (اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لصاحبه) : لا يكون صاحباً للقرآن بمجرد التلاوة دون عمل بالقرآن بل لا يكون صاحباً للقرآن إلا بالعمل به ، أما مجرد التلاوة والحفظ لألفاظ القرآن يكون قد أكثر من حجج الله تبارك وتعالى عليه ، ولهذا سيأتي معنا في الحديث الآتي للمصنف قول النبي صلى الله عليه وسلم : (يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به) أما الذي يقرأه ولا يعمل به فالقرآن حجة عليه لا له ، ولا يكون شفيحاً له إذا كان يحفظه ولا يعمل بالقرآن القرآن حجة عليه لا له . والنبي صلى الله عليه وسلم صرح بهذا في صحيح مسلم قال : (والقرآن حجة لك أو عليك) إذا كان يعمل به فهو حجة له ، وإذا كان لا يعمل به ولا ياتمر بأوامره ولا ينتهي عن نواهيها صار القرآن حجة عليه ، فإذا قوله : (يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه) لا يكون من أصحاب القرآن إلا بالعمل بالقرآن ، كما يوضح هذا المعنى الرواية الأخرى الآتية عند المصنف وهي أيضاً في صحيح مسلم

ثم قال عليه الصلاة والسلام مخصصاً بعد تعميم : (اقرأوا الزهراوين) : والزهراوان البقرة وآل عمران هما من القرآن ويشملهما . قوله (اقرأوا القرآن) لكن هذا تخصيص بعد تعميم تقضيلاً لهذا المخصص ، وبيننا لعظيم فضله وعظيم ما يترتب على قراءته قال اقرأوا الزهراوين : الزهراوين مثني زهراء ، فالبقرة زهراء وآل عمران زهراء وتثنيتهما يقال الزهراوين أو

الزهر اوان ، والزهراء تأنيث أزهر وهو شديد الإضاءة والإنارة ، فالزهر اوان

أي السورتان المضيئتان المنيرتان ، وصفهما عليه الصلاة والسلام بهذين الوصفين ، لعظيم ما في هاتين السورتين من النور وما :
. يترتب عليهما من النور وما يحصلهما من يعتني بهما قراءة وتدبرا وعملا من نور وضياء
وتحتمل معنى الزهراوين : ذكر أهل العلم أموراً عديدة ويتناولها ذلك مثل أن تكون نورا لصاحبها ، فهي زهراء لأنها تنير لصاحبها
طريقه وتضيء لها طريقه وتضيء له قلبه تكون نورا لقلبه ، وهي زهراء لأن فيها هدايات ودلالات لكل خير وفضيلة ورفعه وبعد
. عن إثم وحرام ، وأيضا هي زهراء لما تضمنته من عقائد الدين وأصول الإيمان وحقائق الشريعة
فإنهما تأنيان يوم القيامة – أي السورتان – كأنهما غمامات أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن (أصحابهما)
ضرب عليه الصلاة والسلام للسورتين ثلاث أمثلة توضح المكانة والشأن العظيم الذي تأتي عليه هذين السورتين
تحاجان عن أصحابهما
قال في المثل الأول : (كأنهما غمامتان) : والغمامة معروفة السحابة ، فتأتي البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما سحابتان أي
. تظلان صاحبهما في يوم الحرور والشدة
. وفي المثل الثاني : (أم كأنهما غيايتان) : والغياية ما يضل الإنسان من فوق رأسه ، فتأتي البقرة وآل عمران كأنهما غيايتان
. المثل الثالث : (أو كأنهما فرقان) الفرق القطيع ، فرقان أي قطيعان من طير
صواف) : أي صافاة أجنحتها ومقاربة بعضها إلى بعض ، فتكون باجتماعها وصفها لأجنتها فتكون لصاحبها طلة فتكون مثل (الغمامة ومثل الغياية . وبعض أهل العلم ألمح إلى معنى قال : إن سورة البقرة آيات كان يحفظها هذا الذي تكون له يوم القيامة كأنهما
فرقان من طير صواف ، فهي آيات حفظها فهذه الآيات التي حفظها تأتي يوم القيامة كأنها طير صواف أي صافاة أجنحتها مقاربة
. بعضها إلى بعض تظل صاحبها
هذا خبر صادق عن نبينا عليه الصلاة والسلام يقع يوم القيامة ، ونبينا صادق مصدوق . فلينظر العبد وليتأمل الفرق بين من يكرمه
الله بالعناية بهذين السورتين حفظا وفهما وتأملا وعملا كيف أنه يأتي يوم القيامة وتأتي السورتان تظلاله كأنهما فرقان من طير
. صواف أو كأنهما غمامات أو كأنهما غيايتان والأخر الذي لا يحفظ لا يحصل ما حصله ذلك
والنبي عليه الصلاة والسلام لما أخبرنا بهذا الخبر أخبرنا حضا وحثا على العناية بهاتين السورتين ولهذا صدر ذلك بالأمر بقوله
..... اقرؤوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران
تحاجان عن صاحبها) : هذه شفاعه ، مثل ما تقدم معنا ، تحاجان عن صاحبهما إنه كان يقرأ إنه كان يعمل إنه كان كذا تحاجان)
. عن صاحبهما طلبا لنجاته وطلبا لرفعة درجاته عند الله جل و علا

5

ثم قال : (اقرءوا سورة البقرة) : وهذا تخصيص من بعد تخصيص ، عمم أولا ، ثم خصص البقرة وآل عمران بالذكر ، ثم
. خصص البقرة وحدها بالذكر وهذا يدلنا على مزيد فضل لسورة البقرة . وذكر في قراءة سورة البقرة ثلاث فوائد عظيمة جدا
الفائدة الأولى : (قال فإن أخذها بركة) : قال بركة ولم يحدد وهذا يفيد العموم بركة في دنياه بركة في أخراه بركة في حياته بركة
في وقته ... قل ما شئت (فإن أخذها بركة) . والبركة : هي الزيادة والنماء ، بمعنى أن من يأخذ البقرة لا يزال أمره في نماء وفي
. خير وفي فضل هذا معنى البركة

ثم ذكر ما يضاد ذلك (وتركها حسرة) ومعنى حسرة : أي ندامة ، إذا ترك الإنسان البقرة أهملها ولم يبالي بها لا بقرانتها ولا
. بفهمها ولا بالعمل بها يكون هذا الترك والهجر لهذه السورة حسرة عليه لأنه ضيع وفرط ما فيه سعادته وفلاحه في دنياه وأخراه
قال : (ولا تستطيعها البطلة) : والبطلة هم السحرة ، بمعنى أن الساحر لا سبيل له على من كان من أهل سورة البقرة . وفي حديث
آخر قال : (إن الشيطان لا تدخل بيتا تقرأ فيه سورة البقرة) فالبطلة أي السحرة لا سبيل لهم ولا طريق لمن كان يحفظ البقرة ويقرأ
البقرة ويتدبر سورة البقرة ويعمل بها من كان كذلك فالبطلة لا سبيل لهم عليه ، لأنه يُحفظ بعنايته بهذه السورة من هؤلاء ، وفي
. سورة البقرة آية الكرسي التي هي أعظم آية في القرآن الكريم ، وهي أعظم ما يكون في إبطال السحر ونقضه
فقوله ولا تستطيعها البطلة : أي لا تستطيع السحرة أن تصل إلى من يحفظ سورة البقرة بأي ضرر أو بأي أذى . وهذا المعنى هو
الأظهر في المراد بقول (ولا تستطيعها البطلة) وهو المنقول عن معاوية أحد الرواة لهذا الحديث أو أحد رجال إسناده هذا الحديث
. قال : بلغنا أن البطلة لا تستطيع أن تنال من حفظ هذه السورة بأي ضرر أو كلام هذا معناه

وله عن النواس بن سمعان قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به،
تقدمه سورة "البقرة وآل عمران". وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد، قال: "كأنهما غمامتان أو
"ظلتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنهما جزقان من طير صواف، تحاجان عن صاحبهما

ثم أورد رحمه الله حديث النواس بن سمعان وهو في صحيح مسلم وهو بمعنى الحديث المتقدم . قال رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يؤتى بالقرآن يوم : أي السورتان المضيئتان المنيرتان ، وصفهما عليه الصلاة والسلام بهذين الوصفين ، لعظيم ما في هاتين السورتين من النور وما يترتب عليهما من النور وما يحصلهما من يعتني بهما قراءة وتدبرا وعملا من نور . وضياء .

وتحتمل معنى الزهراوين : ذكر أهل العلم أموراً عديدة ويتناولها ذلك مثل أن تكون نورا لصاحبها ، فهي زهراء لأنها تنير لصاحبها طريقه وتضيء لها طريقه وتضيء له قلبه تكون نورا لقلبه ، وهي زهراء لأن فيها هدايات ودلالات لكل خير وفضيلة ورفعته وبعد . عن إثم وحرمان ، وأيضا هي زهراء لما تضمنته من عقائد الدين وأصول الإيمان وحقائق الشريعة فإنهما تأتيان يوم القيامة – أي السورتان – كأنهما غمامات أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن (أصحابهما) ضرب عليه الصلاة والسلام للسورتين ثلاث أمثلة توضح المكانة والشأن العظيم الذي تأتي عليه هذين السورتين تحاجان عن أصحابهما

قال في المثل الأول : (كأنهما غمامتان) : والغمامة معروفة السحابة ، فتأتي البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما سحابتان أي تظلان صاحبهما في يوم الحرور والشدّة

. وفي المثل الثاني : (أم كأنهما غيايتان) : والغياية ما يضل الإنسان من فوق رأسه ، فتأتي البقرة وآل عمران كأنهما غيايتان . المثل الثالث : (أو كأنهما فرقان) الفرق القطيع ، فرقان أي قطيعان من طير

صواف) : أي صافة أجنحتها ومتقاربة بعضها إلى بعض ، فتكون باجتماعها وصفها لأجنتها فتكون لصاحبها ظلة فتكون مثل (الغمامة ومثل الغياية . وبعض أهل العلم ألمح إلى معنى قال : إن سورة البقرة آيات كان يحفظها هذا الذي تكون له يوم القيامة كأنهما فرقان من طير صواف ، فهي آيات حفظها فهذه الآيات التي حفظها تأتي يوم القيامة كأنها طير صواف أي صافة أجنحتها متقاربة بعضها إلى بعض تظل صاحبها

هذا خبر صادق عن نبينا عليه الصلاة والسلام يقع يوم القيامة ، ونبينا صادق مصدوق . فلينبظر العبد وليتأمل الفرق بين من يكرمه الله بالعناية بهذين السورتين حفظا وفهما وتأملا وعملا كيف أنه يأتي يوم القيامة وتأتي السورتان تظلاله كأنهما فرقان من طير صواف أو كأنهما غمامات أو كأنهما غيايتان والآخر الذي لا يحفظ لا يحصل ما حصله ذلك والنبي عليه الصلاة والسلام لما أخبرنا بهذا الخبر أخبرنا حضا وحثا على العناية بهاتين السورتين ولهذا صدر ذلك بالأمر بقوله

أقرؤوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران تحاجان عن صاحبها) : هذه شفاعه ، مثل ما تقدم معنا ، تحاجان عن صاحبهما إنه كان يقرأ إنه كان يعمل إنه كان كذا تحاجان) . عن صاحبهما طلبا لنجاته وطلبا لرفعة درجاته عند الله جل و علا

5

ثم قال : (أقرؤوا سورة البقرة) : وهذا تخصيص من بعد تخصيص ، عمم أولا ، ثم خصص البقرة وآل عمران بالذكر ، ثم خصص البقرة وحدها بالذكر وهذا يدلنا على مزيد فضل لسورة البقرة . وذكر في قراءة سورة البقرة ثلاث فوائد عظيمة جدا الفائدة الأولى : (قال فإن أخذها بركة) : قال بركة ولم يحدد وهذا يفيد العموم بركة في دنياه بركة في أخراه بركة في حياته بركة في وقته ... قل ما شئت (فإن أخذها بركة) . والبركة : هي الزيادة والنماء ، بمعنى أن من يأخذ البقرة لا يزال أمره في نماء وفي خير وفي فضل هذا معنى البركة

ثم ذكر ما يضاد ذلك (وتركها حسرة) ومعنى حسرة : أي ندامة ، إذا ترك الإنسان البقرة أهملها ولم يبالي بها لا بقرائتها ولا بفهمها ولا بالعمل بها يكون هذا الترك والهجر لهذه السورة حسرة عليه لأنه ضيع وفرط ما فيه سعادته وفلاحه في دنياه وأخراه قال : (ولا تستطيعها البطلة) : والبطلة هم السحرة ، بمعنى أن الساحر لا سبيل له على من كان من أهل سورة البقرة . وفي حديث آخر قال : (إن الشيطان لا تدخل بيتا نقرأ فيه سورة البقرة) فالبطلة أي السحرة لا سبيل لهم ولا طريق لمن كان يحفظ البقرة ويقرأ البقرة ويتدبر سورة البقرة ويعمل بها من كان كذلك فالبطلة لا سبيل لهم عليه ، لأنه يُحفظ بعنايته بهذه السورة من هؤلاء ، وفي سورة البقرة آية الكرسي التي هي أعظم آية في القرآن الكريم ، وهي أعظم ما يكون في إبطال السحر ونقضه ففعله ولا تستطيعها البطلة : أي لا تستطيع السحرة أن تصل إلى من يحفظ سورة البقرة بأي ضرر أو بأي أذى . وهذا المعنى هو الأظهر في المراد بقول (ولا تستطيعها البطلة) وهو المنقول عن معاوية أحد الرواة لهذا الحديث أو أحد رجال إسناده هذا الحديث . قال : بلغنا أن البطلة لا تستطيع أن تنال من حفظ هذه السورة بأي ضرر أو كلام هذا معناه

وله عن النواس بن سمعان قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدمه سورة البقرة وآل عمران". وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد، قال: "كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنهما جزقان من طير صواف، تحاجان عن صاحبهما

ثم أورد رحمه الله حديث النّوأس بن سمعان وهو في صحيح مسلم وهو بمعنى الحديث المتقدم . قال رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به) وتأمل هذا القيد (أهله الذين كانوا يعملون به) بمعنى أن الذي لا يعمل بالقرآن لا يكون من أهل القرآن ، لا يكون من أهل القرآن بمجرد حفظ حروفه من إضاعة حدوده ، بل لا يكون من أهله إلا بالعمل بالقرآن وأن يرى فيه القرآن عبادة وخلقا وديانة وتجنباً للحرام وما يسخط الله سبحانه وتعالى .

الإمام الحسن البصري وهو من علماء التابعين تحدث عن بعض القراء في زمانه يقول : (يقول أحدهم قرأت القرآن كله ولم أسقط منه حرفاً - يعني حفظته وأتقنته ولم أسقط منه حرفاً - قال : وقد أسقطه والله كله لا يرى عليه القرآن لا في خلق ولا في عمل) ثم قال رحمه الله : (إذا كانت القراء مثل هؤلاء لاكثر الله في الناس مثل هؤلاء ما هؤلاء بالقراء ولا العلماء ولا الورع) . فهذا الحديث وقوله (الذين كانوا يعملون به) يوضح الأحاديث الواردة في هذا الباب وأنه ليس المراد فقط حفظ الحروف مع إضاعة الحدود بل لا يكون من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته إلا بالعمل بالقرآن الكريم ، وأضرب لكم على ذلك مثلاً جليلاً للغاية ، ما أعظم ما في القرآن وما أعظم ما أنزل لأجله القرآن ؟ أليس توحيد الله وإخلاص الدين له تبارك وتعالى . هذا أعظم شيء أنزل القرآن لأجله ، أنزل للتوحيد ولإفراد الله بالعبادة ، أرأيتم لو أن رجلاً في هذه الحياة الدنيا لم يحفظ إلا سورة الفاتحة ولم يحفظ شيئاً من القرآن لكنه موحد مخلص لله لا يشرك بالله تبارك وتعالى شيئاً ، وآخر حفظ القرآن كله بإتقان لكنه يشرك بالله عنده ضلال في باب العبودية يشرك بالله يتعلق بالمقبورين أو بغيرهم . من الناجي يوم القيامة من هاذين ؟ الذي يحفظ القرآن كله أو الذي يحفظ سورة الفاتحة ؟

هذا يوضح لنا أن مقصود القرآن هو الغاية التي ينبغي أن تتوافر عليها الهمم ، من حيث فهم القرآن والعمل به ، فهم التوحيد الذي أنزل القرآن لأجله ، فهم فرائض الإسلام وواجبات الدين ، فهم المحرمات التي نهى الله تبارك وتعالى عنها ، فتتوافر الهمم لذلك (ليكون العبد من أهل القرآن ، كما يقول عليه الصلاة والسلام) (يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران) : يعني تأتي سورة البقرة وآل عمران متقدمة على القرآن سابقة ، وهذا دليل على شرف وفضل (هاتين السورتين العظيمتين الزهراوين

وضرب لهما ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد كأنهما غماتان أو ظلتان سوداوان – أي تظلان صاحبهما – بينهما شرق) لو كانت (ظلتان سوداوان فقط ما الذي يحدث ؟ نظلم عليه . لكن قال بينهم شرق أي بينهما ضياء بينهما نور ، فتظلاهما وأيضاً لا تحجبانه عنه الضياء والنور فيكون في ظلها وأيضاً في الوقت نفسه في مكان مضيء وليس في مكان مظلم

(. أو كأنهما حزقان) الحزق : الجماعة ، حزقان : أي جماعتان من الطير ، بمعنى ما تقدم (كأنهما فرقان من طير صواف)

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها. لا أقول (الم) حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف" رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح

ثم أورد الإمام رحمه الله هذا الحديث حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها) هذا حديث عظيم جداً في فضل قراءة القرآن وتلاوة القرآن ، (لا أقول ألم حرف ، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف) فإذا قرأ ألم هذه ثلاثون حسنة وليست عشر حسنات ، لأن ألف حرف ولام حرف وميم حرف ، و إذا قرأ (حم) عشرون حسنة

فهذا الحديث فيه فضل تلاوة القرآن وأنه كلما أكثر من القراءة للقرآن الكريم كان له بكل حرف عشر حسنات ، فكم هي هذه الأجور التي يحصلها من يكرمه الله تعالى ويمن عليه بتلاوة القرآن الكريم

وله، وصححه عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها ". ولأحمد نحوه من حديث أبي سعيد وفيه: "فيقرأ ويصعد بكل آية درجة، حتى يقرأ آخر شيء معه

ثم أورد رحمه الله هذا الحديث في فضل قراءة القرآن وفضل قارئ القرآن ، قال يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق – أي ارتفع الارتقاء هو الارتفاع والعلو – ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك – أي في الجنة – عند آخر آية تقرأ بها) بمعنى أنه كلما زادت قراءته زادت درجاته في جنات النعيم

ثم أورد الحديث بنحوه من حديث أبي سعيد وفيه (فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه) يعني لا يزال يرتقي في درج الجنة بقدر ما معه من آيات القرآن الكريم

ولأحمد أيضا عن بريدة رضي الله عنه مرفوعا: "تعلموا سورة البقرة" فذكر مثل ما تقدم في الصحيح في البقرة وآل عمران، وفيه:
"وإن القرآن يلقي صاحبه يوم
القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب، فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك. فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك،
فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر، وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل
تجارة. فيعطى الملك بيمينه، والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسا والداه حلتين لا يُقَوِّم لهما أهل الدنيا، فيقولان: بم
كسبنا هذه؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن. ثم يقال له: اقرأ واصعد في درجة الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ هذا كان أو
". ترتيلا

ثم أورد الإمام رحمه الله تعالى حديث بريدة مرفوعا أي إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، قال : (تعلموا سورة البقرة فذكر مثلما تقدم
في الصحيح) أي ما تقدم في حديث أبي أمامة وحديث النواس بن سمعان رضي الله عنهما من فضل لها . ثم قال : (وإن القرآن
يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب) يلقي القرآن صاحبه وتكون هيئته يعني هيئة القرآن ، والمراد
بالقرآن قراءة القارئ وتلاوة القارئ التي هي عمله تلاوته لكلام الله سبحانه وتعالى (انقطاع بسيط في الدقيقة 43) بسفر أو بتعب
: أو بنحو ذلك يقال رجل شاحب يعني تغيرت بشرته إما بسبب السفر أو الجهد أو المرض أو نحو ذلك يأتي كالرجل الشاحب يقول
هل تعرفني فيقول ما أعرفك (هذا الحوار بين صاحب القرآن والقرآن عندما ينشق قبره يعني وقت النشور والبعث والقيام من)
(قبره ، يلقاه ويقول هل تعرفني يقول ما أعرفك . فيقول مرة أخرى (هل تعرفني فيقول ما أعرفك
فيقول أنا صاحبك القرآن) وتأمل قوله : (أنا صاحبك القرآن) وما تعنيه هذه المصاحبة وتدل عليه وأنه ليس المراد مجرد قراءة)
: حروف القرآن أو حفظ حروف القرآن . وأيضا يوضح هذا قوله
أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر (يعني كان من أهل الصيام والعناية بالصيام ، والهواجر : منتصف النهار في)
. اشتداد الحر اشتداد الشمس ويكون صائما متقربا إلى الله سبحانه وتعالى طالبا أجره وثوابه
. وأسهرت ليلك) أي في التهجد وقيام الليل وتلاوة القرآن في الليل ولاسيما الثلث الأخير من الليل)
هذا يوضح لنا من هو صاحب القرآن ومن هو الذي يكون من أهل الله كما سيأتي في الحديث الأخير في هذه الترجمة (أهل القرآن
هم أهل الله وخاصته) ، هذا لا يكون بمجرد
حفظ السور مع عدم الفهم وعدم العمل ، بل أهل القرآن الذين لهم هذه الرتب ولهم هذه الدرجات ولهم هذه الفضائل مثل ما جاء
(موضعا هنا) أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك
وبعض العلماء قالوا إنه يأتي على صورة الرجل الشاحب لأن هذا الذي هو صاحب القرآن كانت هذه حاله في دأبه وعبادته وقيامه
. لليل وخوفه من الله وشفقته من عذاب الله سبحانه وتعالى وإقباله على طاعة الله
قال : (وإن كل تاجر من وراء تجارته) وهذا واضح ، الآن التاجر الذي له صفقات في الأسواق هو من وراء تجارته يطمع لأرباح
. لهذه التجارة (فكل تاجر من وراء تجارته) أي يتحرى ويأمل في الأرباح ما يجنيه من تجارته من ربح
وإنك اليوم من وراء كل تجارة) : كل تجارة ما قدر وصفها حسننها كثرة أرباحها عوائدها وفوائدها ، فإن تجارتك اليوم (من)
. وراء كل تجارة) أي أن كل تجارة تقدر وتوصف لا تعني شيء أمام تجارتك يا من كنت من أهل القرآن
فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله) : ملك وخذ ، يعني يعطى الملك العظيم فيه من أنواع الخيرات وصنوف المنن وصنوف النعم)
والمنازل والحرور كلها تدخل تحت قوله الملك بيمينه والخلد بيساره ، ملك وخذ نعيم هو أتم النعيم وأكمله وأعظمه وأسناه وأيضا
. يعطى معه الخلد يقال له خلود في هذا النعيم ولا موت أبد الأباد
ويوضع على رأسه تاج الوقار) : هذه كرامة يكرم بها ، والتاج هو ما يوضع على الرأس من حلية وزينة وجمال ، فيوضع على)
. رأسه تاج الوقار أي يوضع على رأسه التاج الذي هو حلية وزينة
ويكسى والداه حلتين لا يُقَوِّم لهما أهل الدنيا) : يعني ما يمكن أن يقدر بأثمان الدنيا أو تقويم الدنيا أو تقديرات الدنيا ما يمكن مهما)
قدر المقدر ووصف الواصف ما في هذه الدنيا لا يُقَوِّم لهما أهل الدنيا لا يمكن تقويمهما بمقاييس الدنيا مهما علت وارتفعت حلتان
. يكساهما والداه
الحلة : لا تطلق إلا على الجديد ، يقال الحلة هي ما يحل من جدته فحلتان ، أيضا لا تطلق الحلة إلا على ما كان من قطعتين مثل إزار
. ورداء ولا تطلق إلا على جديد
فيقولان بم كسبنا هذه) : يسألان عن سبب ذلك ، وهذا فيه أن ثواب الجنة مبني على أعمال الدنيا ، ولهذا قال : بم كسبنا هذه يعني)
. ما العمل الذي كان في الدنيا فكسبنا به هذه الحلة
فيقال : بأخذ ولدكم القرآن) : وهذا فيه فضيلة من يعتني بولده في حفظ القرآن ويتابع)

ولده ويستحث ولده ويربي ولده على القرآن ، ليس على القرآن فقط على حروفه بل على آداب القرآن وأخلاق القرآن ، فضائل القرآن والتأدب بآداب القرآن ، ليس فقط أن يحشر في صدره إلزاما وضغطا حروف القرآن وألفاظه دون فهم ودون عمل فيكون هو . في واد ومعاني القرآن وحقائق القرآن بواد آخر

ثم يقال له اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها فهو في صعود ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلا (: يعني سواء كانت قراءته حدر ،) الهذ هو الحدر القراءة السريعة مع الحفظ على تحقيق التلاوة في المخارج ونحو ذلك ، أو ترتيلا أي ترسلا وعدم إسراع في القراءة ، . يعني اقرأ واصعد يعني حسب قراءته التي كان يقرأ بها سواء كانت هذا أو ترتيلا . فهذا الحديث حديث عظيم جدا وجمع جملة كبيرة جدا من فضائل القرآن الكريم وتعلمه وتعليمه

وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أهل القرآن هم أهل الله وخاصته" رواه أحمد والنسائي . ثم ختم الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى هذه الترجمة بهذا الحديث العظيم في فضل تعلم القرآن وتعليمه (أهل القرآن) بم يكون الإنسان من أهل القرآن ؟ إضافة هؤلاء إلى القرآن بالأمر الثلاثة : بحفظ القرآن وفهم معانيه والعمل به) . بهذا يكون العبد من أهل القرآن

وهذه كرامة عظيمة ومنة كبرى وشرف لا يدانيه شرف يفوز به من كان من أهل القرآن ، أضافهم الله سبحانه وتعالى إلى نفسه تشريفا لهم وتعلية لمقامهم ورفعاً لأقدارهم ، وإذا كانوا أهل الله وخاصته فما هي رتبهم وما هي درجاتهم وما هي منازلهم وما هي أجورهم وما هي ثوابهم وقد أضافهم الله سبحانه وتعالى لنفسه تشريفا لهم وتعلية لمقامهم

اللهم يا ربنا يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام يا من بيده أزمة الأمور نسألك أن تجعلنا جميعا من أهل القرآن ، ياربنا لا حول لنا ولا قوة إلا بك ، اللهم تعلم ضعفنا وعجزنا وتقصيرنا وتقريرنا وتعلم ياربنا كثرة الشواغل التي انفتحت علينا في هذه الحياة فاجعلنا . ياربنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك

